



قهر النسق الاجتماعي في سيرة مريض النعاس

Conquer the social system in the Biography of the writer "mardhia ennaas"

الطالبة. دلال حلايميث

halaimia.dalal@univ-khenchela.dz

جامعة خنشلة

أ. د. فيصل حميد

¹ hacid40@yahoo.fr

جامعة باتنت 1

تاريخ القبول: 2021/12/10

تاريخ الإرسال: 2020/11/18

I. الملخص:

تعد السيرة الذاتية النسوية نوعا من الكتابات المهمشة، وهي إنتاج نص يخضع لقيود عدة في عملية السرد أهمها الاجتماعية، حيث، تحاول من خلالها الذات المتكلمة عبر المنجز الكتابي خلخلة المركزية الذات الذكورية، رغبة في كسر الأنظمة المقولبة، للعبور إلى معالجة مشاكل الأنثى، بأساليب متنوعة لتحقيق كينونتها، وتعد سيرة "المظروف الأزرق" نموذجا لتصوير القهر الاجتماعي، عن طريق كشف علاقة الكاتبة بذاتها وبالمركرزيات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: قهر؛ نسق؛ اجتماعي؛ سيرة.

I. ABSTRACT:

The feminist biography is a kind of marginalized writing, which is the production of a text that is subject to several



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايية وأ. د فيصل حصيد

restrictions in the narration process, the most important of which is the social one, through which the speaking self, through the written achievement, tries to de-centralize the male self, with a desire to break stereotyped systems, to cross to address female problems, in a variety of ways. To achieve her entity, the biography of "The Blue Envelope" is a model for depicting social oppression, by revealing the writer's relationship with herself and other centralities.

Keywords: conquer; layout; social; Biography.

1. المقدمة:

إن خوض تجربة الكتابة عن الذات هي كتابة من الداخل بصوت الأنا، من أجل إيجاد نافذة للبوح ومواجهة المتلقي، وعندما يطرح موضوع السيرة الذاتية مع الكتابة النسوية فإننا نواجه إشكالية المصطلح، ومدى تمثله في الواقع والتمثيل، مع أن كلا الأدبين (السيرة الذاتية والأدب النسوي) قد حظيا معا باهتمام الناقدين، لتحديد أوجه التشابه والاختلاف بينهما وبين الكتابات الأخرى، محاولين تصنيفهما وإرساء قوانين تميزهما كنوع من الإبداعات الأدبية، خاصة إذا كانت هذه الكتابة نابعة من رحم مجتمع له معتقداته الصارمة، وقوانينه الاجتماعية والسياسية المتشددة مع المرأة كالمجتمع الليبي، فتظهر الكاتبة مرضية النعاس بمظروفها الأزرق مستعملة سلطة الكتابة وستار اللغة لإثبات ذاتها، وبث تجربتها مع هذا المجتمع الذي يصعب فرض ذات الأنثى فيه، لتضع القارئ أمام تساؤلات واستفهامات عدة، صغناها في الإشكالات الآتية:

1- كيف تجسد الأنثى ذاتها عبر السيرة الذاتية؟

2- لماذا تحاول الذات الأنثى فرض كينونتها من خلال التخفي؟



قهر النسق الاجتماعي----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

3- ما سبب التشوشات القائمة في العلاقة بين الاسم الحقيقي والاستعاري في سيرة مرضية النعاس؟

إن هذه الإشكالات تشكل قاسما مشتركا بين جلّ الكتابات النسوية، وتظهر بشدة في الكتابة النسوية الليبية، حيث أن القارئ لو تتبع ما تصرح به الكاتبة فقط لأحزم أن ما تكتبه "مرضبة النعاس" مجرد رواية تعكس الواقع المعيش في المجتمع الليبي، ولكن بتمحص الأحداث وقراءة الأنساق، يجد نفسه قارئاً لسيرة ذاتية، تتخفى فيها الذات الساردة، محاولة إيهام وتتويه القارئ في عملية تحديد الجنس الأدبي الذي بين يديه، عن طريق حرق الميثاق السير ذاتي والتملص من قواعده، عبر عملية التخفي بوضع الأقنعة اللغوية والاستعارات، وجعل هذا العمل الأدبي رسالة لغوية مجهولة المعالم، تتقاطع فيها الواقعية مع الخيال، مما يستدعي استنطاق المسكوت عنه وإظهار المستبطن، بداية من العنوان المشفر إلى الشخصيات والوظائف المتخيلة، وصولاً إلى طمس معظم معالم السيرة الذاتية بمهارة.

هذه الميزات في "المظروف الأزرق" أدت وظيفة التأثير وشد القارئ لفك غموض هذه المدونة، بالإضافة إلى نقص الدراسات المهمة بالأدب الليبي، لتكون هذه الدراسة ضوياً يسلط على إبداعين لم ينالا الحظ الوافر من النقد، وهما الأدب النسوي والأدب الليبي.

2. النسق الاجتماعي:

يعرف الدكتور علي السلمي (1936م) النسق فيقول: "إن النسق مفهوم يعم كل الكون، بل إن الكون بكامله ليس إلا نسقاً كبيراً يحوي داخله أنساقاً جزئية تتداخل فيما بينهما"، أما كمال أبو ديب فيرى النسق كلا موحداً، هو نقطة البداية التي يمكن انطلاقاً



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

منها ... تحديد العناصر المكونة له¹، وهو بذلك نظام كلي أو بنية شاملة تنبثق منها بنيات صغرى.

من أكثر المصطلحات العلمية الاجتماعية تداخلا وتبادلا في الاستعمال النظم الاجتماعية والأنساق الاجتماعية، وقد اهتم بارسنوز بالنظم الاجتماعية باعتبارها أنساق صغرى ولكنها أنساق من طبيعة متميزة، فهي نظم تتكون من أبعاد متناسقة ومتكاملة لحياة الناس في عدد من المجالات المتباينة توعا ما²، فالأنساق الاجتماعية تركيب وتفاعل بنيات أخرى مكونة لها.

ويعتبر هذا النوع من النسق فعلا قاهرا، يفرض سيطرته بطريقة عمودية في الواقع والمخيال السردى في الكتابة النسوية، مما يجعل كتابها خاضعة لاستعارات وأقنعة، تبتعد عن البوح.

3. الكتابة النسوية:

لم تكن هذه القوانين جديدة في المجتمع، بل "بدأت النظرة الدونية للمرأة بداية من أفلاطون (Plato) وفلسفة أرسطو (Aristotle) في القرن الرابع قبل الميلاد"³، واستمرت هذه النظرة عبر الضمير الجمعي إلى يومنا، مشكلة نوعا من الصراع على المركزية، خالقة قطبين (المركز والهامش)، وانتقلت إلى المجال السياسي، ثم إلى المجال اللغوي، حيث

¹ - جمعة برجوج، مالكية بلقاسم، النسق مفهومه وأقسامه، مجلة مقاليد، العدد 13، ديسمبر 2017، ص 55.

² - محمد عبد المعبود المرسى، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، دراسة تحليلية نقدية، مطابع سحر، القصيم، ط1، 2001، ص ص 134، 135.

³ - رياض القرشي، النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب دار حضرموت للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية، ط1، 2008، ص 63.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

نسبت اللغة إلى الرجل واقصيت المرأة، وينسب الفضل لظهور الكتابة النسوية إلى المنظرتين "إيف كوسوفسكي وجوديث بتلر (Eve Kosovsky and Judith Butler)"¹، أما أول من أطلق مصطلح (féminisme) هن نساء الفكر البرجوازي اللواتي رفضن المد الشيوعي، لينبثق مصطلح الأدب النسوي، والذي واجه طائفتين من النقاد (متقبلون، رافضون)، "ثم اتسع مجال المصطلح إلى الوطن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين عن طريق الترجمة"²، فتتحول الإشكالية من نظرة مجتمع إلى مجالات أكثر عمقا وتعقيدا.

"فالمرأة إشكالية تكوينية"³ تطرح إشكالية التفرد والاختلاف عن الآخر، وبرزت ثقافة التعدد التي فسحت المجال للهوامش الثقافية التي صممت لمدة طويلة، حتى تنافس المركز في طرح القضايا والتحويلات، ضمن قوانين تسمح بتداولية أو اشتراكية الثقافة، بعد الموجتين النسويتين الأولى والثانية، فظهر الأدب النسوي بعد المرور بمراحل عدة اتجهت من الكتابة بضمير مذكر، إلى الكتابة بصفة مؤنثة وإصدار إبداعات كتابية تمثلها، حتى وصلت إلى درجة وسم كل عمل أدبي يتحدث عن المرأة وكتاباتها بالنسوي.

تحدد جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) "ثلاث مراحل في تاريخ النسوية وراثة سلبية، مرحلة المتظاهرات من أجل الحقوق السياسية، ومرحلة المطالبة بالمساواة بين الجنسين، ثم مرحلة التأكيد على الفروق بين الجنسين لإضافة خصوصيات ومساهمات

¹ - حفاوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، قراءة في سفر التكوين النسائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 44.

² - المرجع نفسه، ص 514.

³ - انظر عبد الغفار العطوي، المرأة صورة مختلفة من وجهة نظر الرجل، دار أمل الجديدة للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2018، ص 08.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

المرأة وتميزها خاصة في المجال الإبداعي، لتتحول في المرحلة الرابعة إلى السلطوية والريادة وتفقد أنثويتها¹، لكن ما يمكن أن يكون حلا لهذه الأزمة هو التشبع الإبداعي من أجل الكتابة، لرسم هوية كل مبدع مهما كان جنسه وتحديد هويته وكيونته.

من ناحية أخرى نجد الكاتب سيمون دي بوفوار (Simone de Beauvoir) يلغي صفة التبعية للمرأة، ويحاول منحها مجموعة من الحلول حتى تسترد مكانتها، فيقول: "إن المجتمع الذي وضع الرجل تشريعاته، وقيمه يعتبر المرأة أقل من الرجل، ولا تستطيع المرأة إلغاء هذا النص إلا بتحطيم تفوق الرجل، لذلك تحاول أن تسيطر عليه وأن تناقضه وأن تنكر حقيقته وقيمه، إنما بذلك لا تفعل سوى الدفاع عن نفسها، هذا النقص لا ينجم عن نقص ثابت أو قدر شيء، بل هو مفروض على المرأة فرضا، وإن كان كل اضطهاد يخلق حالة التراجع، والكائن الذي تنتزع منه صفة الجوهر لتلصق به صفة التبعية والالحاق لا بد أن يحاول استرجاع سيادته"².

يعزي الكاتب هذه الانتهاكات لحقوق المرأة إلى المجتمع الذي أرسى قوانينه الرجل، والذي فرض على المرأة النظرة الدونية التي تشعرها بالنقص، ويدعوها إلى تحطيم هذه القيود التي ظلمتها اجتماعيا ومن النواحي كلها.

4. السيرة الذاتية (Autobiographie): تعرف السيرة الذاتية على أنها "ذاك الشكل الفني الذي يسمح للكاتب أن يسرد حياته وتفاصيلها، يحيلنا نحو فضاء واقعي في

¹ - حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، 2009، ص 90.

² - سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، تر. ندى حدادي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 91.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

قالب في¹، ويعد فيليب لوجون (Philip Lejeune) مؤسساً لمفهوم السيرة الذاتية، وواضعا لقوانين تميزها عن الأجناس الأدبية القرينة منه، وهي نوع أدبي يدرس فيه الفرد حياته، متتبعا أهم المخططات فيها، يقول فيليب لوجون (Philippe Lejeune) في تعريفه للسيرة الذاتية أنها: "سرد استعادي لشخص يحكي حياته الحقيقية، يتحدث فيه عن وجوده الخاص، لكن وفق ضوابط ومرتكزات أهمها الميثاق السير الذاتي، وهو عقد مبرم بين الكاتب والقارئ لي طرح حياته في قالب سردي"².

ولو تعمقنا في الفكر الفلسفي الرابط بين الوجود سنجد ضاربا في التاريخ العميق، مع مقولة ديكارت: "أنا أفكر إذا فأنا موجود"³، فقد ربط بين التفكير كفعل ذهني إنساني وبين الوجود الحقيقي للإنسان والشعور بالأنا، وتعتبر الكتابة واللغة نوعا من أنواع التعبير عن الذات وترجمة التأمل والتجارب، لتتحول الحياة إلى فعل سردي تتطابق فيه اللغة والحياة، الواقع والخيال.

إن الكاتب في السيرة الذاتية يعمل على خلق حيواته الروائية والواقعية، ويسعى لتصوير تجارب عاشها عن طريق السرد، جاعلا التجربة الواقعية متماهية مع التجربة الروائية⁴، موظفا براعته وثقافته في مزج المتخيل والواقع، بأسلوبه الخاص دون الإخلال

¹ - محمد صابر عبيد، التشكيل السير ذاتي، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 2012، ص 133.

² - "L'autobiographie est un récit rétrospectif en prose qu'une personne réelle fait de sa propre existence, lorsqu'elle met l'accent sur sa vie individuelle, en particulier sur l'histoire de sa personnalité", Phillipe Lejeune, 1975, Le pacte autobiographique, éd Seuil, Paris, p 133

³ - شرف عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، مصر، 1998، ص 11.

⁴ - محمد صابر عبيد، الرواية الرائية، لعبة القص سرد الحياة وسرد الحكاية، دار نقوش عربية، تونس ط1، 2013، ص 38.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايية وأ. د فيصل حصيد

بالطابع العام لهذا الجنس الأدبي، وقد توجه الكثير من كتاب السيرة الذاتية إلى تشييد فضاء سير ذاتي غير ملتزم بقوانين هذا الفن التقليدية والمتعارف عليها، لفسح المجال للحرية في الكتابة أو المراوغة لأغراض يهدف إليها الكاتب أو نتيجة ظروف تحيط بحياته.

5. الميثاق السير ذاتي:

لكل جنس أدبي قوانينه وشروطه التي تميزه عن غيره من الأجناس الأخرى، وللسيرة الذاتية مقياسها الذي يمكن القارئ من التمييز بينها وبين الفنون الأخرى، وهو الميثاق السير ذاتي، "يتبوأ الميثاق السير ذاتي نظريا منزلة النص المصاحب، للحكاية السير ذاتية، لأنه مفتاح تأويلها، وقرينة أجناسية صريحة على مرجعيتها"¹، فيعمل هذا الميثاق على مساعدة القارئ في عملية تأويل هذه السيرة، والغوص في مضامينها وأنساقها، وبناء نظرة وتصور عن عالم الذات التي تكتب عن نفسها.

لكن ليس شرطاً أن يكون هذا العقد بين الكاتب في السيرة الذاتية صريحاً فيمكن أن يأتي ضمناً، "يستمد لوجون مقولة عند القراءة (contrat de lecture) من نظريات القراءة والاستقبال لياوس وآيزر وغيرها في هذا المجال، ومن ذلك اشتراك القارئ في مشروعه السير ذاتي، مفترضا علاقات ممكنة بين النص والقارئ، قد يتجلى هذا العقد بشكل صريح أو ضمني يقترحه الكاتب ويروم من القارئ الاستناد إليه كخلفية نصية أساسية عند القراءة (...)، متوجها إليه بصيغ خطائية قد تصل إلى حدود استفزاز كفاءته في تقاليد الاستقبال الأدبي المتعارف عليها..."².

¹ - جميلة الطريطر، مقومات السيرة في الأدب العربي الحديث، بحث في المرجعيات، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004، ص 36.

² - محمد شهري، الخطاب السير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، قراءة في تجارب هوامش الرحلة الأخيرة لمحمد مفلح، مزاج مراهقة لفضيلة الفاروق، مقامات الذاكرة المنسية لحبيب مونسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مستغانم، الجزائر، 2017/2018، ص 45.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

نجد أن نظرية التلقي إحدى الركائز الأساسية التي أثرت في نظرية الميثاق السيرذاتي، وفق ما اصطلاح عليه بأفق التوقع، وتعد عملية استفزاز هذا التوقع نقطة فارقة بين القراء، وكذا تعتمد على مدى قدرة الكاتب السيرذاتي الإبداعية للتأثير في ها المتلقي، "يتم إبرام عقد القراءة مع قارئ قادر على صنع أفق التوقع، عند هانز روبرت يابوس (hans robert yaws) يميز النص السير ذاتي دون غيره"¹.

6. السيرة الذاتية النسوية:

إذا أردنا ولوج عالم كتابة السيرة الذاتية النسوية فإن حتمية الموضوع تقودنا نحو إشكالية المرأة والسرد، والمرأة واللغة، فالمرأة في كتاباتها تبحث عن ذاتها، محاولة تأنيث النص، متحدية المركزية والسلطات الخارجية عن ذاتها، ودحض التهميش عن هويتها، ولا تقتصر المرأة في كتابة سيرتها الذاتية على لعبة التحدي، بل لإثبات الذات. وتعد السيرة الذاتية ملاذا جيدا يمكنه احتواء هذه الذات، والتعبير عن تجربتها الواقعية والإبداعية، ويعتبر كتاب "الجنس الآخر" قاعدة شاهدة ومرجعا قويا للحركة النسوية وتجارب المرأة، خاصة في مقولة سيمون دي بوفوار (Simone de Beauvoir): "المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة"²، فقد كتبت المرأة سيرتها الذاتية عن طريق البوح أو التخفي، للمحافظة على أنوثتها ووجودها، حتى تخلص نفسها من التبعية الذكورية، وفهم العالم الخارجي أو احتوائه عبر الذات، وفي عملية الصراع الناتج عن زعزعة المراكز وثباتها، كتبت المبدعة عن حياتها وتجاربها، لاستحضار كينونتها والتوقيع باسم أنوثتها،

¹ - المرجع نفسه، ص 46.

² - عبد الغفار العطوي، كتابات في النسوية، دار كيوان، ط1، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2019، ص 35.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

لتصل في كتاباتها إلى ما اصطلح على تسميته بـ: "مرحلة اكتشاف الذات"¹، سواء أكانت هذه الكتابة وفقا للأعراف أم منفلة منها، لتحدث منعرجا كبيرا في الكتابة، خاصة حينما تختار التخفي وراء الكتابة، معظمها تعود إلى أسباب اجتماعية ونفسية، فالأنثى حين تكتب فهي ليست في مواجهة ذاتها المتماهية فحسب بل في حالة تصد كذلك للآخر²، مراعية لسلطته في المجالات جميعها، تقول جيني تشامان JENNY (CHAPMAN) أن "النساء كلما اقتربن من الوصول إلى السلطة، سواء أكان ذلك على مستوى حياتهن عامة أو حياتهن الفردية أو اتجاه المجتمع ككل، كلما أصبحت هذه التحديات أكثر إلحاحاً، لأن المركز مازال يصنفها ضمن التابع، تسعى المرأة من خلال كتابة سيرتها إلى تأسيس ميثاق أنثوي³ يخلصها من تسلط الثقافة الذكورية، لتكسب لغتها صفة المؤنث تستوعب ملامحها وأفكارها"⁴.

بناء على هذه النظرة قد تحولت الكتابة من إبداع إلى قضية هوية، وإثبات كينونة رغبة في استرجاع الأنا، وزحزحة سلطة ومركزية الرجل الذي تقلد زمام الثقافة،

¹ - مفيد نجم، الكتابة النسوية إشكالية المصطلح، التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مجلة نزوى، العدد 42، سلطنة عمان، 2007/07/22، ص 35.

² - بول ريكور، بعد طول تأمل، تر. فؤاد مليت، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2006، ص 11.

³ - انظر المرجع السابق، كتابات في النسوية، ص 27.

⁴ - "the closer women get to power, whether this is over their own, individual lives or the direction of society as a whole, the more urgent these challenges become The modern women's movement might seem well placed to meet them", Jenny Chapman, Politics, Feminism and The Reformayion Of Gender, Taylor & Francis E-Library Routledge's, USA and Canada, 2005, P 156.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

والتقاليد والأفكار وحتى الإبداع.

وقد تعددت التسميات التي تم إطلاقها على هذا اللون من الكتابات، وبدأت أقلام النقاد في التمييز بين هذه المصطلحات لفك الغموض بينها وتوضيحها للقارئ¹ إن الناظر في التسمية السيرة الذاتية النسوية يدرك أنها تحمل على خطاب أدبي تكسوه حساسية المرأة، وتجربة إبداعية مثلت محاولة للخروج من الظلمة، حيث جاءت لتكون هي المؤلف وهي الموضوع وهي الذات وهي الآخر، وإذا ما كتبت المرأة عن المرأة، فإن صوت الجنس النسوي هو الذي يتكلم من حيث الكتابة، إن الكتابة ليست ذاتا تميل إلى فرديتها، ولكنها ذات تميل إلى جنسها وإلى نوعها البشري، والذات هنا هي ذات أنثوية تحول نفسها إلى موضوع وتحول حلمها نص مكتوب، وتجعل كابوسها لغة¹.

فتمثل من خلال هذه الزاوية كتابة المرأة عن نفسها كتابة تعبر عن الجنس الأنثوي، المتميز عن غيره (الجنس الذكوري)، وبذا يكون هذا المصطلح مستندا إلى رؤية ودعامة اجتماعية بحت.

ويرفض الناقد عبد الوهاب المسيري (1938م، 2008م) دراسة قضية المرأة من خلال التجنيس رجل / امرأة فيقول: "من الأجدر بنا أن ندرس قضية المرأة داخل إطارها التاريخي والإنساني، فنذكر أن مشكلة المرأة مشكلة إنسانية لها نغماتها الخاصة، كما يجب أن تنقص عن أنفسنا غبار التبعية الإدراكية وتبحث عن حلول لمشاكلنا نولدها من نماذجنا المعرفية، ومنظوماتنا القيمية والأخلاقية، ومن إيماننا بإنسانيتنا المشتركة وهي

¹ - أسماء الصمائية، تمثيلات السيرة الذاتية النسوية بين إشكال الهوية وتشكل الذات، مجلة نقد وتنوير، ع 07، مارس 2021، ص 309.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

منظومات تؤكد أن المجتمع الإنساني يسبق الفرد (تماما كما يسبق الإنسان الطبيعة /المادة)¹.

يمنحنا الناقد الآليات التي يعتبرها مناسبة لدراسة قضية المرأة، وبندھا الأول يتمثل في مبدأ الإنسانية الجامعة، وعدم اتباع النظريات القديمة في تعاملنا مع مثل هذه الإشكالية، وفق ما يناسب إدراقاتنا ومعطياتنا المعرفية الراهنة، ومن جهة أخرى " فرق عبد الله إبراهيم فيما يخص نوع الكتابة فقال: ينبغي التفريق بين كتابة النساء، وكتابة المرأة والكتابة النسوية، فالأولى نقصد أن أدب المرأة هو كل أدب تكتبه المرأة عن القضايا العامة، أما الكتابة الثانية فتستعين برؤية أنثوية فتتقصد التعبير عن حال المرأة استنادا إلى تلك الرؤية في معانيها للذات والعالم، ثم الاهتمام بنقد للثقافة الأبوية السائدة لأنها قاهرة للمرأة في اختباراتها الكبرى"².

فما مدى مطابقة هذه النظرة النقدية لكتابة مرضية النعاس* في "المظروف الأزرق"³.

¹ - عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، نغضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2010، ص 38.

² - حسيبة محمدي، السيرة الذاتية في أدب آسيا جبار، دراسة نقدية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي، جامعة جيلالي لباس، 2016/2017، ص 41.

* ولدت مرضية عبد الله النعاس العام 1940 في درنة، وهي أول صحفية من درنة وأول روائية ليبية، تكتب الرواية بمفهومها الحديث، على الرغم من وجود تجارب نسائية مبكرة، وأيضاً كتبت للصحافة العربية منها: «الوعي العربي» و«الصيد»، كما كتبت مجموعة من المسرحيات المدرسية، وتولت رئاسة تحرير مجلتي «البيت» صدر لها رواية «شيء من الدفء»، وقصة «غزالة»، ورواية «المظروف الأزرق» العام 1982، وقصة «رجال ونساء» العام 1993.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايية وأ. د فيصل حصيد

7. التخفي وراء الكتابة في المظروف الأزرق:

لم تعلن الكاتبة في هذا المؤلف عن شخصها، بداية من العنوان " المظروف الأزرق"¹، فالعلامة اللغوية المظروف تحيلنا إلى وجود رسالة ما ستصل إلى المتلقي، غير مفتوحة، تدخله عالم الدهشة، وتجعله يطرح تساؤلات:

- لماذا المظروف دون غيره من العناوين؟

- ما علاقة المظروف باللون الأزرق؟

- ما سبب إخفاء المرسل هويته وهوية عمله؟

أصبح هذا العنوان رسالة مشفرة، مشحونة بالمتاهات التي تجعل المتلقي خاضعا للعديد من التأويلات، متشوقا لمعرفة صاحب هذا العمل الحقيقي، محدثا تفاعلا بين الذات والنص والمتلقي، فاتحا المجال للقراءات المتعددة، مومنا بالنية المسبقة لنقض الميثاق السير الذاتي من طرف المؤلفة، وعن محاولاتها التخفي وراءه وعدم إبراز ذاتها، وبذلك تنقض المقولة النقدية القديمة: "الكتاب يعرف من عنوانه"²، فقد تحول المظروف الأزرق إلى صدمة تشوش ذهن المتلقي، فيتموقع خارج نسيج النص (السيرة الذاتية)، وتتحول الذات الحقيقية إلى حكم المجهول، متوارية عبر هذا النص المصغر³، جعلت منه محطة للتأويل والنقد، وطرح إشكال مهم

¹ - مرضية النعاس، المظروف الأزرق، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع. طرابلس، ليبيا، 1982، ص 1.

² - عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2011، ص 9.

³ - المرجع نفسه، ص 14.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

- ما سبب التخفي مرضية النعاس في "المظروف الأزرق"، وعدم تصريحها بالجنس الأدبي الذي كتبتة؟

إن الصوت المكتوم في هذا العمل الإبداعي، يضفي نوعا من الجمالية السردية الكاشفة عن النسق الاجتماعي المعقد، وردود أفعاله الكابحة لصوت المرأة في طرح ذاتها موضوعا في كتابتها، مما يفرض نوعا من استنكار الذات في وضع اجتماعي متأزم، يكشف الستار عن الذكورية الممارسة اتجاه الأنثى في المجتمع الليبي، فاستعملت الكاتبة الأنثى قناعا ذكوريا في "المظروف"، لتنسجم والآخر عبر كتابتها، مكونة نوعا من الصداقة والسلمية كشفت عنها لفظة "الأزرق"، ومنه فالعنوان علامة سيميائية تمثل قناعا يستفز الآخر الذي ينتمي إلى المجال ذاته (المذكر).

مرضية النعاس من خلال تخفيها تحاول خلق هدنة للوصول إلى أهدافها مع المجتمع ومع القارئ، ومن أمثلة ذلك: "رمى رئيس التحرير المسؤول بالخطاب الأزرق أمام مجموعة من المحررين، وصاح قائلاً: هاكم خطاب صاحبتنا... لقد عاد إلى الظهور من جديد، وإنني أراهن على أن الأزرق الأنيق يناقش هذه المرة أيضا قضية ستثير ضجة كالقضايا السابقة"¹.

هذه العبارة تجسد تشكيلا معرفيا، حيث تبرز أبعاد الفكر الاجتماعي الليبي عند الآخر، والصورة التي تؤسس لنمط تفكيري اتجاه المرأة، والتي تعد سببا قويا لجعل الذات فاعلة في الخفاء، بتقديم زائف للذات، ويؤكد هذا الرأي ما قاله رئيس التحرير: "ولماذا لا يكون مصطفى هو صاحب مقالات المظروف الأزرق؟ شغله حالها وحال الفتاة الليبية، وندرة وجودها في ميدان الكتابة فتبرع وكتب ووقع باسمها مقالات الأزرق المحير"²، من

¹ - المصدر السابق، المظروف الأزرق، ص 5.

² - المصدر السابق، المظروف الأزرق، ص 6.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

خلال هذا الخطاب يتبين أن الكاتبة قد نجحت في ترويض اللغة، إلى حد إقناع الآخر أن الكتابة من طرف رجل لا امرأة، ومن ناحية أخرى أبرزت تهميشا اسقط عموديا على كاهل المرأة في مجال الفكر والأدب، إلى أن اقصيت وفق نمط مسبق من هذا المجال (اللغة والكتاب)، والنظرة الدونية والسطحية لها.

شجعت هذه القوانين الكاتبة على التحدي المتخفي وراء الكتابة، في مجتمع حكم على إلغاء وجودها، فتتابع وصف هذه النظرة بالقول: "صدقني إن المرأة الليبية لا تستطيع أن تكتب مثل هذه المقالات التي تتسم بالعمق والقدرة على التحليل"¹.

إن تصور الذات للآخر خلق هوة بينها وبين الآخر، ومثال ذلك: "وفغرت زينب فاهها دهشة، لم تكن تعتقد أن هناك شبابا بهذا النبل... هذا أول شاب تراه يتحمل المسؤولية في بساطة وطيبة بعد والدها وخالها"²، صدمة زينب في وجود الاستثناء الذي يخرق الصورة النمطية عن الآخر، الذي طالما مثل الاستغلال وممارسة السلطة على الهامش الذي تمثله الأنثى الليبية.

8. إشكالية الاسم المستعار عند مرضية النعاس:

استعارت مرضية النعاس اسم زينب لتستبدل المفاهيم عند المتلقي، كي يفكر أنها تكتب عن غيرها لا عن نفسها، فتحولت كتابتها من سرد الذات إلى كتابة تخيلية عن الذات، كفلسفة عقلية استمدتها من واقعها، فتقول: "والتقطت زينب جزءا من أجزاء كتاب الفلسفة تحاول الاستدكار فيه، إن عليهم بعد غد اختبارا تجريبييا في هذه المادة وعليها بأي طريقة تركيز انتباهها، وابتسمت في سخرية هامسة لنفسها: " لقد وصلت

¹ - المصدر نفسه، ص 7.

² - المصدر نفسه، ص 27.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايية وأ. د فيصل حصيد

رطوبة الحياة الدليلة التي نعيشها نحن النساء في مجتمعنا إلى أمخاخنا فعطلتها عن التفكير فأصبحنا مجرد آلات عتيقة تسيرها محركات (الديزل) في عصر الذرة والتكنولوجيا¹.

تحولت مرضية النعاس عبر الاسم زينب إلى علامة تحقق بؤرة امتداد للشخصية الواقعية، التي ترفض الواقع وتسخر من المركز، لإدراكها مدى إجحافه ونقاط ضعفه، فيتقاطع الواقع والخيال في اسم وشخص زينب، التي تنتج تصورات الكاتبة عبر السيرة الذاتية وفك ركائز الميثاق السير الذاتي، عن طريق الإضمار، وعدم البوح بالحقيقة، لتجعل من النص مكانا لممارسة حريتها وإثبات كينونتها، نستشف هذا من القول: "والله يا ست زينب هذا ما جنيناه من تعليمك منذ متى ابتدأت إسداء النصح وادعاء المعرفة والسخرية من الرجال"².

تستهوي عملية الاستعارة الكاتبة فمن زينب تنتقل إلى التفكير في بنت لبيبا، مصرحة بسبب عدم التصريح: "رتبت (زينب) الورق الأزرق الأنيق بعد أن انتهت من الكتابة لتوها... وطوته بعناية ورقة... ووضعت في المظروف الأزرق... بعد أن ذبلته بالتوقيع المعتاد (بنت لبيبا)... وأغلقت المظروف الأزرق... وهي تنظر بين لحظة وأخرى ناحية باب الحجرة خشية أن يدخل شقيقها... ونظرت إلى ساعتها فوجدتها قد بغت الخامسة، موعد مجيء ساعي بريدها السري... وقالت في سرها... (ماذا يحدث لو ذيلت المقال باسمي كاملا؟ طبعاً سيعرف والدي وسيحدث ما لا تحمد عقباه)"³.

تشاكل في هذا الخطاب الداخلي آراء مرضية النعاس في شخصية زينب، وآراء زملائها، في نوع من التداعي عن بعد، ليقترحوا أسماء افتراضية تشير إلى صاحبة المقالات

¹ - المصدر نفسه، ص 19.

² - المصدر السابق، المظروف الأزرق، ص 22.

³ - المصدر نفسه، ص 45.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايية وأ. د فيصل حصيد

الجهولة، تحت وطأة الاستفزاز لعقل الآخر، وجعله يبحث عن الحقيقة التي أخفها زينب، والتي كانت قناعا للكاتبة أيضا، بنوع من المراوغة، فيقول الصحفيون: " وجدته... ما رأيك في ذات الجديلة المستعارة أو (أم اقطمبو)... أو (أم الهنا)... أو (أم فطييمة) أو (أم مها) تماشيا مع موضوعة الإمضاءات الحديثة ونظر (مصطفى) إلى أحمد وشفته مملوطين في سخرية... ولكن الأخير تجاهل نظرتة وأضاف قليلا: ألا تعجبك هذه الإمضاءات؟ ولا يهملك سأختار لك غيرها... ما رأيك مثلا في إمضاءه... أعتقد أنه سيعجبك جدا!"¹.

إنه الوقع الذي تحدته كتابات هذه الفتاة اللببية، حتى تصبح محط جدل وتكسر أفق توقع المتلقين لعملها، وحولت إدراكهم إلى أفكار رهينة الشك، أما المتلقي الواقعي فهو أمام وهمية الاسم المستعار لمرضية النعاس، والقناع المستعمل في كتاباتها باسم زينب، محاولة إقناعنا أن هذا العمل الأدبي عن بطلة غير الكاتبة ذاتها، لتتناسل التأويلات بسبب هذا الإضمار، ووعينا كقراء لا يقتصر على تلقي هذه التحولات والتعاليقات الأجناسية فقط، بل يعمل على إدراك هذه الحقيقة، أن صاحبة المظروف الأزرق هي زينب، وأن زينب هي الشخصية المستعارة من طرف الكاتبة لسرد حياتها، ومصطفى كمتلق من الدرجة الأولى أدرك المستوى الأول من التخفي، ونجد ذلك في القول: " ولم يجب (مصطفى)... والتقط الأوراق من يد أحمد. ووقف يتفحصها في دقة مبدية عدم اهتمامه بالموضوع... واستطرد أحمد وهو يرقب وجه (مصطفى) في تمنع... ويمط كلماته في تباطؤ مقصود: زينب على سبيل المثال!!"².

¹ - المصدر نفسه، ص 79.

² - المصدر نفسه، ص 79.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايية وأ. د فيصل حصيد

فتحت زينب على المتلقي أبوابا استحال فيه النص (المقالات المرسلة) رسالة مستهدفة في ذاتها، ليتأرجح اهتمامه بين النص ذي الحمولة القيمة التي تكشف معاناة المرأة الليبية، وبين صاحبه التي شددت الأبواب والأفكار، مكونة نوعا من التفاعل الخارجي والداخلي (متلقي/نص/صاحب النص).

9. الخاتمة:

باتت ذات المبدعة مرضية النعاس في "المظروف الأزرق" قناعا فنيا وواقعيا، لم تكشف عن نفسها ولم تبج بهويتها، ولكن المتتبع للأحداث وحياة الكاتبة يكتشف أنها تنقل تجربتها المعيشة بنوع من الحذر، مستعملة التخفي وسيلة تحافظ بها على تموضعها داخل المتن وخارجه، ففتحت النص على مجموعة من التأويلات التي لا حدود لها، يضمن دلالتها فقط السياق الواقعي، فلم يبد ما كتب في "المظروف الأزرق" مجرد رواية تصور حياة المرأة الليبية المثقفة فقط، بل هو حياة مرضية النعاس الأدبية الليبية والتي تنتمي إلى أسرة الصحافة، زعزعت مركزية الذكورة، وجعلت من نفسها محور اهتمام من خلال التخفي بالتوقيع عن المتلقي الافتراضي، وبتخفيها الواقعي عنا متلقين واقعيين. وقد أبدعت في سياسة الإيهام حتى في تحديد الجنس الأدبي، مثبتة أنها امرأة تمكنت من وسائل الكتابة حتى تميزت عن الآخر وتفوقت عليه، في عالم كان سيده الوحيد وأنتت لغتها، موطدة علاقة المرأة بالكتابة من ناحية وولجت باب أدب السيرة الذاتية كاشفة العلاقات بين أفراد المجتمع الليبي، والمكانة التي توضع فيها المرأة عند عامة المجتمع وخاصته، فجعلت من الإخفاء وسيلة للبوح الذكي، عن طريق التلاعب باللغة السردية، فأنتجت رواية تضم خلفها سيرة ذاتية.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

10. المراجع

1- الكتب العربية:

- محمد صابر عبيد، التشكيل السير ذاتي، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع سورية، 2012.
- محمد صابر عبيد، الرواية الرائية، لعبة القص سرد الحياة وسرد الحكاية، دار نقوش عربية، تونس ط1، 2013.
- مرضية النعاس، المظروف الأزرق، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع. طرابلس، ليبيا، 1982.
- مفيد نجم، الكتابة النسوية إشكالية المصطلح، التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مجلة نزوى، العدد 42، سلطنة عمان، 2007/07/22.
- محمد عبد المعبود المرسي، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، دراسة تحليلية نقدية، مطابع سحر، القصيم، ط1، 2001.
- برجوج، مالكية بلقاسم، النسق مفهومه وأقسامه، مجلة مقاليد، العدد 13، الجزائر، ديسمبر 2017.
- حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، 2009.
- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، قراءة في سفر التكوين النسائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
- رياض القرشي، النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب دار حضرموت للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية، ط1، 2008.



قهر النسق الاجتماعي ----- ط. دلال حلايمة وأ. د فيصل حصيد

شرف عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، مصر، 1998.

عبد الغفار العطوي، المرأة صورة مختلفة من وجهة نظر الرجل، دار أمل الجديدة للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2018.

عبد الغفار العطوي، كتابات في النسوية، دار كيوان، ط1، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2019.

عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2011.

كريمة بكاي، الموقف النقدي والأدبي من الأدب النسوي في العالم العربي، مجلة الصوتيات العدد 02، المجلد 20، 2018.

عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2010.

جميلة الطريطر، مقومات السيرة في الأدب العربي الحديث، بحث في المرجعيات، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004.

2- الكتب الأجنبية:

أ- الأصلية:

Jenny Chapman, Politics, Feminism and The Reformayion Of Gender, Taylor & Francis E-Library Routledge's, USA and Canada, 2005.

Phillipe Lejeune, Le pacte autobiographique, éd Seuil, Paris, 1975.

ب- المترجمة:

بول ريكور، بعد طول تأمل، تر. فؤاد مليت، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2006.



قهر النسق الاجتماعي----- ط. دلال حلايمية وأ. د فيصل حصيد

سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، تر. ندى حدادي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2008.

3- البحوث المنشورة:

محمد شهري، الخطاب السير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، قراءة في تجارب هوامش الرحلة الأخيرة لمحمد مفلح، مزاج مراهقة لفضيلة الفاروق، مقامات الذاكرة المنسية لحبيب مونس، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مستغانم، الجزائر، 2017/2018.

حسية محمدي، السيرة الذاتية في أدب آسيا جبار، دراسة نقدية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي، جامعة جيلالي ليابس، 2016/2017.